

لقاء قناة العربية بالدكتور إبراهيم الجعفري
بتاريخ 2006/12/8
(صراع الإرادات)

المقدمة: ما هو تعليقكم على توصيات لجنة بيكر - هاملتون، وتحديدًا جدولة انسحاب القوات الأميركية من العراق، وما اشترط على الحكومة العراقية لجهة تحقيق الأمن على الرغم مما نراه من عجز في ذلك؟

الجعفري: بيكر - هاملتون لجنة تقرير وليست لجنة قرار، والتقرير ليس حاكماً وليس له دالة على الإدارة الأميركية ولا على الكونغرس، ومهما يكن من أمر فقد وردت في التقرير نقاط إيجابية إلا أن نقاطه السلبية كثيرة جداً وهناك نقاط نقص، على العموم.. القوات الأمنية العراقية معنية بالدرجة الأولى بتسيير العمل الأمني وذلك في مظلة الأمم المتحدة، نحن نتعامل مع التقرير على أساس أنه ينبغي أن يوازي فيما يبيده من ملاحظات يكون بخط متوازي مع القرار 1546، نحن دولة سيادية انتمينا الى النادي الديمقراطي بالعالم، وبالتالي لابد ان يكون التقرير قد اخذ هذه الحقيقة بنظر الاعتبار، فهو يتعامل مع دولة لها شخصية معنوية، لها برلمان منتخب وحكومة منتخبة.

أما ما يتعلق بتقوية الوضع الأمني في الداخل العراقي، نحن نعتبره مكسباً، وهذا نحتاجه لكن يجب ان نمعن النظر جيداً بأنه نريد جدولة واقعية للصعود والارتقاء بالقوات الامنية العراقية من حيث الكم، ومن حيث النوع، ومن حيث الكيف والأداء، ومن حيث التجهيز، لأننا نعتقد أن جدولة انسحاب القوات المتعددة الجنسيات هو انعكاس لجدولة تصعيد القوات الأمنية، من هذه الملاحظات التي بينتها قدر تعلق الأمر بهذا السؤال الذي تفضلت به، انا اعتقد انه لا خلاف بضرورة تقوية الأجهزة الأمنية، والكل هنا يعمل ليل نهار للارتقاء بالأجهزة الأمنية سواء كان رئيس الوزراء، أو الوزارات المعنية بالأمن، أو المجلس السياسي للأمن الوطني.

المقدمة: ولكن هناك تعويل من قبل الكثير من العراقيين على الوجود الأميركي، وإذا كان الوجود الأميركي والبريطاني مع القوات الأمنية العراقية لم يكبح جماح الإرهاب، وازداد عدد القتلى المَطرَد بين يوم وآخر.. فكيف يمكن خلال أشهر أو سنين قليلة أن تتم مساعدة القوات الأمنية العراقية لتتسلم المهام لوحدها؟

الجعفري: القوات الأمنية العراقية قادرة على أن تواجه عندما تُعطى الفرصة أكثر، وعندما يكون هناك تنسيق ميداني صحيح، وفيما لو أخذت حيزاً أكبر من حيث الكم، وقدرًا وافرًا من التدريب والأسلحة، وهذا هو بيت القصيد، فالأسلحة غير متكافئة بين الجندي العراقي والضد الإرهابي الذي يتمتع بقدرة تفجيرية، وأخلاقية غير محدودة باستباحة الأهداف كافة؛ فاليد العراقية عندما تحمل السلاح ستؤدي دورها بشكل

أقوى، لكن هناك عناصر تفتقر لها وهي مسألة التسليح، وإكمال الكم المطلوب بالنسبة التي تضاهي، وتتناسب مع الحجم الديموغرافي في المناطق التي تواجه التحدي.

المقدمة: تتحدث عن الإرهاب وعمليات العنف بحق المواطن العراقي، لكن يوجد من يعتقد أن هناك مقاومة ومجابهة للاحتلال، وأيضاً مجابهة للحكومة التي يرون أنها لم تقدم لهم ما يريدون.. ما رأيك؟

الجعفري: نحن كنا مقاومة، المقاوم لا ينشأ بقرار، وليست هي (سترة) حتى يلبسها متى يشاء، ويخلعها متى ما يشاء.. المقاومة أخلاقية، والمقاومة مبدئية، والمقاومة ميدانية، والمقاومة قاعدة جماهيرية تتحرك في فضاء ديموقراطي يعطي كل شيء حقه، أما استباحة دم الأطفال، واستباحة المعابد، والقتل الجماعي، والترويع، والتفجير، والتفجير فهذه ليست مقاومة بل إجرام وإرهاب.. المقاومة في تقدير مصطلح مقدس ينبغي أن نعطيه لمن يستحقه.

المقدمة: إذن من هم المقاومة إذا كان العديد من المراقبين والمحللين يقولون: إن الميليشيات العراقية الموجودة في العراق بجميع أطيافها وأشكالها الدينية والسياسية متورطة في عمليات التفجير والقتل، وإن هناك فرق موت موجودة، وهي فرق موت عراقية، وهناك اتهام لقوات أمنية حكومية بالتورط بهذه العمليات.. ما ردكم؟

الجعفري: عندما تكون متورطة ليس لدينا إلا مقياس واحد.. نحن نكيل بمكيال واحد.. من يثبت أنه متورط بعمل كهذا نطبق عليه قانون مكافحة الإرهاب من دون أي تردد، ومن دون أي رحمة.. لا نتقبل أن تكون هناك مقاومة تقتل وفق أحكامها ورؤاها، وهو ما لمسناه على أرض الواقع.. أبداً إذا كانت هناك ميليشيات يوجد قانون يعالج الميليشيات، ويوجد قانون صارم لمن يخرج عن هذا القانون، ويريد أن يمارس على طريقته الخاصة..

الدولة تشر عن قوانينها بالبرلمان وفي وضوح النهار، وتحاول أن تطبق هذه القوانين على الجميع.. نحن لا ننكر وجود ظواهر فساد إداري، واختراقات لكن ليس حل الخطأ بخطيئة الاستباحة، إنما حل الخطأ بالمزيد من تطبيق القانون؛ لذا نتخذ إجراءات صارمة كما حصل في أميركا عندما تعرضت إلى هزة في 11 أيلول عام 2001 طبقت قوانين الطوارئ، واستحدثت وزارة أسمتها (وزارة الأمن).

المقدمة: أحد المواطنين العراقيين يقول: لقد فقدنا الأمل، هل تعتقد أنه بالفعل فقد العراقيون الأمل بأي حل للحالة الأمنية القائمة؟

الجعفري: التقرير تضمن حقائق، لكن توجد حقيقة لا يمكن القفز عليها بالجواب وهي: ماذا يعني هذا التقرير؟ من هؤلاء الذين تطايرت أشلاؤهم في الشوارع.. هل هم جواسيس.. هل هم عسكريون.. هل هم جيش منظم.. أم هم الأبرياء؟ من خلال هوية

المجني عليه نعرف الجاني، هل المقاومة تفجر بهذه الطريقة!!؟ هل يوجد إنسان يقدم شعبه ضحية من أجل أن يصل إلى السلطة!!؟ أو يصفي حساباً هنا وهناك؟

المقدمة: وما نتعلم من هذه التجارب؟

الجعفري: نتعلم بكل تأكيد، وعندما نستحضر صور الحروب الأهلية لا نسمح لها بأن تحدث عندنا، بل يجب أن نستفيد من تجارب تلك الدول، ونجنب شعبنا وأهلنا الوقوع في تلك المشكلة التي وقع فيها غيرنا، ونبدل قصارى جهدنا ليل نهار حتىنعكس صورة التآلف والتوافق في داخل الحكومة، والبرلمان، ومجلس الأمن السياسي، واللقاءات الجانبية التي تنعقد بشكل مستمر؛ لأننا لم نكن أمام ديموغرافية سنية وشيعية تقتتل فيما بينها، ولسنا أمام رموز متضادة ومتحاربة.

المقدمة: لماذا لم تنجحوا في تجنب الشعب العراقي هذه المأساة ؟

الجعفري: أنا بينت في مستهل حديثي أن التجربة العراقية تجربة حديثة، وقلت من خلال نقدي للقوات متعددة الجنسيات: إنها من حيث تقصد أو لا تقصد أسهمت في ذلك؛ إضافة إلى فلول النظام السابق من أصحاب النزعة الدموية الذين استثمروا هذه الحالة وحادثة التجربة، وظاهرة الفساد الإداري كذلك، وهناك مجموعة عوامل تكالبت جميعها من أجل إعاقة وعرقلة نمو العملية الديمقراطية لكن هذا مدعاة لأن لا نستسلم لهذا البديل، ولا نتقبل ولا نتوانى عن الحركة نحو الأمام، ونجعل البديل للتفجيرات والمفخخات الخ، بناء الحياة وصناعة الإنسان... هذا يجب أن يشد من عزيمتنا، لماذا كل دول العالم ثابتت من أجل تجاوز ما حصل في بلدانها إلى أن استقرت، في وقت تسلمت حكوماتها واقعاً من ركام أو أقل من الركام.

المقدمة: بما أن الوضع الأمني دائماً هو المسيطر على الحديث في كل لحظة خاصة في العراق دعنا نعود إلى بعض ما جاء في تقرير بيكر - هاملتون ولاسيما أهمية الحوار مباشرة مع سورية وإيران.. ما الدور الذي يمكن أن تلعبه هاتان الدولتان في هذا الشأن خاصة مع الاتهامات المتبادلة وبالأخص إيران التي تقوم بتسليح مليشيات داخلية لشق الصف الشيعي داخلياً .. كيف ترى ذلك؟

الجعفري: بالنسبة لي عندما أنظر إلى تقييم التعامل مع الوضع الإقليمي سواء كان إيران أو سورية أو أي دولة أخرى أنظر إليه من منظور عراقي، أعتقد أن ثالوث العلاقة انطلق منه كأستراتيجية فنحن والدولة الإقليمية، ونحن وسورية مثلاً ونحن وإيران هذا المسار الأول، وعلاقتنا مع دول أخرى لأسباب معينة مثل أميركا وبريطانيا ودول أخرى وهذا المسار الثاني في الثالوث، أما المسار الثالث فهو علاقة تلك الدول

مع الوضع الإقليمي، وهذه واحدة من نقاط الضعف في التقرير لأنه من دون شك ثمة تمازج وعلاقات متأثرة ومؤثرة بيننا وبين الدول الأخرى ليس فقط نحن وإنما كل دول العالم.

المقدمة: هناك اتهام موجّه إلى بعض أعضاء الحكومة العراقية بالسماح لإيران بالتدخل بشكل واضح وسافر وعلني في الشؤون العراقية بعكس ما يراه العديد من العراقيين أنه يجب وضع خطوط لهذه العلاقة القائمة..

الجعفري: من حيث المبدأ أنا ضد أي دولة تتدخل في شؤوننا الداخلية، وضد أي رمز عراقي يتقبل هذا التدخل، وقد قلت علناً في البرلمان: من له علاقة مع دول الجوار الجغرافي يجب أن يكون سفيراً للعراق معهم لا أن يكون لها سفيراً في داخل العراق، من له من السياسيين رصيد في الخارج الإقليمي عليه أن يوظفه للعراق، لا أن يكون الغاطس الإقليمي في داخل العملية الديمقراطية..

المقدمة: أشير إلى انشقاق التيار الصدري عن الائتلاف ودعوة حزب الفضيلة إلى حل الميليشيات والبعض يرى أنها بداية لتصدّع الائتلاف.. ما رأيكم؟

الجعفري: الائتلاف عبارة عن توليفة لمجموعة من خلفيات متنوعة تجمعها أهداف بعضها بطابع استراتيجي، وبعضها بطابع تكتيكي؛ لذا هو وليد قابل للنمو، وتدرّج بالنمو، حتى الحزب الواحد يتعرض لدينامية التغيير والتكامل والحركة، فكيف إذا كانت هناك تجربة حديثة.

أنا أعتقد أن هذا إنما يكشف عن حقيقة، وهي أن كل الكيانات تتعرض للتغيير، فالائتلاف الذي هو أكبر كتلة برلمانية كشفت التجربة أن هناك اجتهدات بالرأي، وهناك بعض الخلافات، وهذا مدعاة لبلورة الأفكار والمواقف، وتوحيد الفهم، وتوسعة الدائرة المشتركة التي تضم الفرقاء المختلفين داخل الائتلاف، في تصوري أن هذه الاختلافات في كل العالم، كالاختلافات بين الجمهوريين والديمقراطيين، والجمهوريين - الديمقراطيين - الديمقراطيين وهما أكبر حزبين في العالم.

المقدمة: هل أنت داعم للتيار الصدري؟

الجعفري: أنا أنطلق من دعمي لكل قوة في الشارع العراقي من خلال هويتها الوطنية وحجمها الديموغرافي؛ لذا انطلقت منذ مجلس الحكم بالتأكيد على هذين التيارين التيار الصدري والتيار السني العربي، وقد اختلفت مع بريمر (الحاكم المدني للعراق قبل تشكيل الحكومة) على هذه النقطة، واتفق معي، ولكنه لم يطبق ما اتفقنا عليه؛ مما

أدى إلى أن تستحدث آليات السلاح بدلاً من آليات القلم، من البداية لو كنا قد استوعبنا التيار السني العربي لما حصل الذي حصل، ولو كنا مستوعبين للتيار الصدري لما تأسس جيش المهدي.

أنا رجل سياسي وأعتقد أن دكتاتورية صدام لا ينبغي أن تبدل بديكتاتور آخر، وإنما تستبدل بديمقراطية جديدة.. أنا أنظر إلى شعبي كله من خلال المشاركة في العملية السياسية باستثناء من يقف بوجه العملية السياسية والديمقراطية، فإننا ننزل بحقه القوانين الصارمة، وننصفه فيما له من حقوق، وننصف البلد والقانون والدولة فيما عليه من مخالفات.

المقدمة: المعروف أن مشروع المصالحة الوطنية الذي تعمل عليه الحكومة الحالية (حكومة السيد المالكي) كان مشروعكم إبان تسنمكم رئاسة مجلس الوزراء.. برأيك لماذا هذا المشروع لم يرَ النور، ولم تستطع الحكومة الحالية تنفيذه على الرغم مما تقوم به من استعدادات ومحاولات لذلك؟

الجعفري: المصالحة الوطنية مشروع، أي إن له أهدافاً، وآليات، وجدولة، وزمناً، وله رجال؛ فحتى يتحول من شعار إلى عمل علينا أن نوفر له أرضية صحيحة.. المصالحة تعني تبادل الصلح مع الآخر أو الآخرين.. بقي على الفرقاء السياسيين أن يبرهنوا أنهم قادرون على أن يشدوا الآخرين باستثمار هذه الفرصة؛ إن طرفي المصالحة هما المعطي وهو الحكومة، والمتلقي وهو الآخر، المعطي من جهته طرح مشروع المصالحة، والكرة الآن في ساحة المتلقي وهو المجاميع التي تستخدم لغة السلاح للتعبير عن رأيها.

أنا أعتقد أن المصالحة بادرة جيدة جداً وطيبة وعلى الآخرين أن يستثمروها، وسيجدون في حضان العراق سعة، المصالحة الوطنية في العراق نمطية جديدة تختلف عن نمطيات المصالحة الوطنية في كل بلدان العالم، فالحكومات التي طرحت هذا المشروع أنزلت قوانين صارمة بحق الآخر المختلف.

المقدمة: من كان مع الحكومة والانتخابات النيابية يرى أملاً في الحياة القادمة، ولكن مع تطور الأوضاع الآن مع من سيكون؟

الجعفري: من جملة ما تتميز به الأنظمة الديموقراطية عن غيرها أن التحولات والإرهاصات تكون في الإطار الحاكم مادام إفراراً لعملية نيابية وديمقراطية.. الديكتاتور لا يعطي فرصة لأحد لأن مبدأه إما أن تكون معي أو أقمعك وأقتلك؛ لذا تضطر القوى الوطنية في مرحلة الدكتاتورية والاحتلال لأن تشهر السلاح؛ لأنها أمام قاتل وغاصب وليس أمام حالة ديموقراطية.

نحن اليوم نعيش الديمقراطية والعراق اليوم ليس عراق قبل 2003 (حقبة الحكم الصدامي) فعندما نكتشف خللاً في الأداء نعالجه بطرق ديمقراطية، ولا نعالجه بطريقة استبدادية.

المقدمة: كلامك كلام سياسي مسؤول، ليس كلام مواطن اعتيادي..

الجعفري: السياسية بالنسبة لي مسألة مبدئية.. لا مسألة خطابات، ولا بيانات، المبدأ عندي واحد سواء كنت سياسياً أم مواطناً اعتيادياً.

المقدمة: يقول كوفي عنان: إن المواطن في العراق يرى الآن الأوضاع أسوأ بكثير مما كانت عليه أيام النظام العراقي السابق أيام صدام .. مارأيك؟

الجعفري: كوفي عنان كان يقول سابقاً، - وقد أوصلت له عتبي - عندما قال: لا أعتقد أن الانتخابات في 2005 ستتم، ونحن قلقون؛ لأنها مرتبطة بالوضع الأمني، والآن أصبحت تاريخاً، وتحققت بموعدها، حتى القانون الدولي كان يسمح بتأجيلها لفترة، لكنني أصررت على إجرائها في موعدها المحدد، وقد أجريت بالفعل. أرجو أن لا ننظر إلى الحقائق من ناحية المتكلم مع فرط احترامي له، وأرجو أن ننظر إلى الأشياء بثقة، ولسنا في أزمة ثقة.. نعم هناك مأس، وهناك قوى شرّ تتكالب على العراق، لكننا لا نقابله بالتخلي عن التجربة الديمقراطية.

المقدمة: هل تنوون تأسيس حزب أو تيار سياسي؟

الجعفري: ليس لي نية أن أشكّل حزباً حتى هذه اللحظة..